التناص في رواية " غواية الإسكندر" لمحمد جبريل

أ.د/ صالح مفقوده
كلية الآداب والعلوم الإنسانية
جامعة محمد خيضر– بسكرة.

الملخّــص:

يتناول هذا الموضوع التناص في رواية "غواية الإسكندر" لمحمد جبريل، لا باعتباره تقنية سردية فحسب، بل باعتباره نظرية أدبية تغوص في أعماق النص، وتتصدى للعلاقات النصية والمرجعيات المختلفة للنص، وهو بذلك يجمع بين أشكال التناص ودلائلية النص وحواره مع النصوص الأدبية والتاريخية، بل وحوار الحضارات من خلاله.

Résumé :

Les rapports d'intertextualité entre le roman de Mohammed Djebril, (Riwayet Aliskander/ La séduction d'Alexandre), et le monde éxtérieur est l'objet de cet article non pas seullement que technique narrative, mais aussi autant que théorie littéraire propageant dans les profondeurs du texte et mettant en évidence les relations textuelles et ses différentes références.

Donc, c'est l'assemblage des formes intertextuelles et la signifiance du texte qui incluent son dialogue avec les autres textes littéraires, historiques et meme civique.

التناص ترجمة للمصطلح الأجنبي " Intertextualité " والكلمة مكونة من ("Inte بين) و(texte نص)، ولذلك ترجمة بعضهم " البيننصية" [1]

وإذن فنحن أمام مصطلحين هما النص أو النصية، والبيننصية أو التناص، ولا يمكن أن يفهم مصطلح التناص إلا في تعارضه وتناصه مع مصطلح النص. [2]

والنص مرتبط بالبنيوية ومرتبط بالنقد الجديد، وكلاهما البنيوية والنقد الجديد يقولان بتحليل النص من الداخل، فالنص الأدبي من هذه الوجهة " منتج مغلق، فهونسق نهائي يمكن تحليله وتفسيره في ضوء علاقات وحداته داخل نسقه الأصغر(النص) بعضها ببعض، وفي ضوء علاقته كنسق بالنسق الأكبر أو نظام النوع الذي ينتمي إليه، ويحدد قواعده وشكله، هذا هو أبسط تعريف ممكن للنصية"[3]

وقد ركزت البنيوية على النص، وكذلك فعلت الشكلانية من قبل، حيث ركزت على سنكرونية العمل، بعيدا عن كل مقاربة تأتي من الخارج، ولكن من الخطأ أن نعتقد أن الشكلانيين قد عزلوا النص عن سياقه، فقد أكدوا على أن العمل الأدبي مرتبط بالنسق الأدبي ولا هوية له خارج هذا النسق [4]

وبهذا فإن الشكلانيين لم يرفضوا رفضا مطلقا البعد الاجتماعي للنص، وربما كانت ظروف المرحلة، وردود أفعالهم ضد الدراسات السابقة لهم هي التي جعلتهم يولون ظهورهم للأبعاد الخارجة عن النص كطريقة إجرائية

وإذا كانت هذه الطريقة تعتمد على النص كبنية مغلقة فإن البيننصية أو التناص هو على النقيض من ذلك، فالنص من هذه الرؤية ليس تشكيلا نهائيا " ولكنه يحمل آثار " نصوص سابقه"Traces، إنه يحمل رمادا ثقافيا، وحيث إنه غير مغلق ومحمل بآثار نصوص أخرى من ناحية، وحيث إن القارئ هو الآخر يجيئه بأفق توقعات تشكل في جزء منه على الأقل... فمعنى ذلك... أنه لا يوجد نص ما يوجد هو بين نص" [5]

إن التناص أو بيننصيه جاء كردة فعل على البنيوية، التي لم تهتم بهذه المسألة، وظهر مع ظهور التفكيكية، ونظرية القراءة ،وارتبطت الكلمة بالكاتبة البلغارية الأصل الفرنسية الجنسية "جوليا كريستيفا" التي تعد أول من وضع هذا المصطلح معتمدة في ذلك على الإرث النظري الذي خلفه "باختين" والذي يرجع له الفضل في التعريف بالتناص،

وإن لم يذكره بالاسم. لقد حدد باختين في كتابه" الماركسية وفلسفة اللغة" مفهوم البويتيقا السوسيولوجية عن طريق نقد الاتجاهين السائدين آنذاك

1- **الاتجاه الأول:** الذاتي المثالي ويركز أصحابه على لسانيات الكلام معتبرين إياه مجرد إبداع فردي.

2- **الاتجاه الثاني:** الموضوعي التجريدي، وهذا الاتجاه يقول بالسانكروني، هو الأساس النظري للمفاهيم الشكلية الروسية.

ويقدم باختين بديلا عن ذلك الاتجاه الأيديولوجي أو الأيديولوجيم، الذي تعرفه كرستيفا بأنه « الوظيفة التناصية التي يمكننا أن نقرأها مادية في كل مستويات بنية النص » .

يشير باختين إلى أن كل لفظ هو مسكون بصوت الآخر، ومن هنا فهو يقول بمصطلح« الحوارية » التي تعني كل تواصل لفظي يجري على شكل تبادل للأقوال أو على شكل حوار، فالحوارية هي العلاقة بين خطاب الآخر وخطاب الآنا أوهي: تداخل خطابات الغيرية من ملفوظ المتكلم .

وهكذا يصير الأسلوب عند باختين اعتمادا على مفهوم التفاعل اللغوي مناقضا للأسلوبية المثالية، والوضعية والأسلوب كما يقول ليس هو الرجل ولكن بإمكاننا القول إنه الرجلان على الأقل، وبالضبط الإنسان وشريحته الاجتماعية ولم يستثن من الحوارية سوى آدم الذي يمكنه أن يتجنب هذا التوجه المتبادل نحو خطاب الآخر.

وفي عام 1969،كتبت كريستيفيا « في أبحاث من أجل تحليل سيميائي» أن التناص هو تقاطع عبارات مأخوذة من نصوص أخرى، وهذا التقاطع لا يقتصر عندها على اللفظ أو العبارة بل يتعلق حتى بتداخل الأجناس الأدبية المختلفة

وقد ميزت كريستيفيا بين النص الظاهرPhon Texe والنص المولد Geno Texe فالنص الظاهر هو التمظهر اللغوي كما يبدوفي بنية الملفوظ المادي، وهنا نكون بصدد نص تخترقه نصوص مخزونة على مستوى الدال

أما النص المولد فيتعلق بالعمليات المنطقية التي تفسر السيرورة التي تقطعها الاندلالية، إنه مجال المكبوتات الذي توجد فيه الدلائل مستثمرة من طرف الدوافع [6]

كما كتبت البلغارية كريستيفيا عدة أبحاث حول التناص بين 1966-1976 صدرت في مجلة Tel-quel ومجلة critique ونشرت ذلك في كتابها: سيموتيك، ونص الرواية وفي مقدمة دستويفسكي، لباختين.

إن التناص عند كريستيفيا ليس نسخة مكرورة بما قال به باختين، بل هو استثمار لجهود دارسين، ومعرفة حداثية قال بها دريدا، ولاكان

لقد تجاوزت كريستيفيا سيميائيات التواصل التي تعاملت مع النص الأدبي كمجموعة من الدلائل الحاملة لمدلولات معينه وصارت تقول بإنتاجية النص، فالنص ليس منتوجا للعمل إنما هو مجال ومسرح الإنتاجية، حيث المنتج والمتلقي [7]"

ولعل آخر ما هو متداول في مجال التناص ما ورد عند جيرارجنيت، الذي يورد الأصناف الآتية للتناص [8]

1- التناص Intertextualité: وهو علاقة التواجد بين نصين أو مجموعة نصوص، يشارإليه بوضوح وهي تقابل الاستشهاد والمعارضة والتلميح

2- المابينصية Paratexte: ويتعلق الأمر هنا بدخول النص في علاقة حوارية مع نص آخر أو مع مجموعة نصوص كما نجد في العناوين الرئيسية والفرعية، وفي الهوامش والتعليقات والتوطئة.

3-الميتناصية Metatextualité

وهي ارتباط نص لاحق بنص سابق بدون تسميته، وبدون الإشارة إليه

4- الشامل النصي أو معمارية النص : Architextualité

وتظهر في الإشارة إلى نوع العمل (شعر، رواية، مسرح ...الخ) فهي تحدد معمارية العمل .

5- Hypertextualité وهي كل علاقة تربط بين نص لاحق Hypertexte ونص سابق Hypotexte وهنا نكون أمام عملية توليدية لنص من نص آخر عن طريق تحويل بسيط يسمى التقليد limitation فالإحالة لا تعني إحالة نص على آخر فقط، بل تكون الإحالة إلى ما هو غير كتابي سواء كان مرئيا كالأشكال أو الأنظمة المعرفية أو السلوكية، يقول مطاع صفدي: " لم يعد النص هو المكتوب فقط، بل يلعب النص دور

تناص كما ليس مدونا، حتى ما ليس مكتوبا يمكن أن يكون مدونا (بمعنى تشكيل المدون دون أن يكون له شكل مكتوب، فالأنظمة المعرفية والسلوكية ما هي في الحقيقة إلا مدونات لا تكتبها حروف وإنما تقولها كلمات وتجسدها أفعال منظمة في سياقات تحصر وتحاصر خطابها الخاص وتجعله فعالا دون أن يكون مرئيا أو مكتوبا، إن هذه السياقات النصية غير الكتابية تكاد تكون محدودة ومنسقة وذات قوة آمرة حاسمة لما يفوق النص المكتوب تحديدا وفعالية) (9)

نرى من خلال ما سبق أن التناص كان نقطة تلاق وبحثا في المدرسة التفكيكية، وفي نظرية القراءة، وهولا يعني مجرد البحث عن آثار النصوص في النص المدروس، وإنما هو نظرية أدبية كاملة، تتعلق بالكتابة الأدبية، وقد عرف التناص تطورا من باختين إلى كريستيفا إلى جينيت .

أبعاد التفاعل النصي

نؤثر الوقوف عند ابعاد الاشتغال النص على مستويين

المستوى النص

1- المناص الداخلي

2- التناص: تقوم الرواية على التراث التاريخي – الديني – الأسطورة، بصورة متداخلة ومتضمنة في عملية السرد، ويتمثل ذلك في ما يلي :

الجانب التاريخي : تقديم معلومات تاريخية عن ميلاد الإسكندر ووفاته ودخول الحملة الإسلامية إلى مصر، وإنشاء مكتبة الإسكندرية، وحرق المكتبة، وإنشاء منارة الإسكندرية- إنشاء قلعة قايتباي إلى غيرها من المعلومات التاريخية القديمة والحديثة والمحددة بتاريخ محدد، مما يجعل الرواية تحتوي معلومات موثقة وأقوالا عن وصف الإسكندر مستمدة من مصادر معرفية ومثبتة .

الجانب الديني : ويبرز من خلال تقديم وجهة النظر الإسلامية في أمور عديدة ومنها النظرة الإسلامية للإسكندر، فلعه أن يكون ذو القرنين، وقد تم الربط بينه وبين السيد الخضر، وهذه هي الرواية الإسلامية التي يقحمها الكاتب ليفسر بها الجانب الآخر

من هذه القصة التاريخية غير أن هذه الرواية المعتمدة على التفاسير والأخبار تبدو هشة أمام الرواية الإغريقية.

ولا يتوقف الأمر في التناص الديني عند هذا الأمر، بل يتجاوز للحديث عن وجود المسلمين في المنطقة والتغيرات التي عرفتها، ويتناول تاريخ المساجد وعددها عبر العصور.

كما يتطرق إلى قضية فكرية محل جدل، وهي مكتبة الإسكندرية التي تعرضت للحرق وينفي الكاتب عن المسلمين القيام بذلك مبرزا من كان وراء هذه الفكرة من اليهود، وبذلك نجد طروحات مختلفة ينتصر الكاتب بصورة غير مباشرة لإحداها وهو أن المسلمين لم يقوموا بهذا العمل.

المناص الداخلي

نجد المناص الداخلي ممثلا في أقوال ثلاثة صدر بها الكاتب روايته وتتمثل في

1- القول الأول :

" أن حكاية الإسكندر ذائعة، حتى أن كل إنسان بلغ سن الرشد يعرف شيئا عن تقلبات حظه " تشوسر

2- القول الثاني :

" أي جنة هذه" الإسكندر عند وصوله إلى الدلتا

3- القول الثالث :

" أيتها المدينة التي ولدت من البحر ستغزو أسماك الظلام ذات يوم قصورك المشيدة على هيئة حيوان"

القول الأول يخص الإسكندر الذي ذاع صيته حتى بات معروفا من الجميع ولكنه عرف بحظه المتقلب، أما القول الثاني فهو للإسكندر في وصفه الدلتا فقد اعتبرها جنة وليست أي جنة والإسكندرية واحدة من مدن الدلتا بل من أقدمها وضعا كما جاء في وصف المقريزي لها[10]

أما القول الأخير فهو مناسب جدا لوضع المدينة أمام خطر الانهيار والزوال لأن المناص الداخلي يشير في مجموعه إلى ما يلي :

1- شهرة وعظمة الإسكندر ولكنه مع ذلك ذو حظ متعثر

2- شهرة الإسكندرية وجمالها، ولكن مع ذلك فهي ذات حظ متعثر

وإذا كانت النتيجة التي آل إليها الإسكندر هو الهلاك ثم الضياع أصلا ضياع قبره، وهذا على مستوى الواقع التاريخي، فإن مدينة الإسكندرية مهددة بنفس مصير بانيها وحتى لا تكرر تلك المأساة، على السارد البطل أن يعيد تصحيح مسار الرواية، وبذلك يتجسد الامتداد التاريخي والواقعي عبر أومن خلال الأسطورة، أسطورة البدء وأسطورة المنفي أيضا، فإذا كانت نشأة الإسكندرية وسيرة الإسكندر قائمة في جوانب منها على فكر أسطوري، فإن البحث عن مخلص للمدينة عن طريق البحث عن الطلسم هو كذلك من قبيل خلق أسطورة البقاء والحفاظ .

الجانب الأسطوري :

لا يكتفي الكاتب بذكر الوقائع التاريخية بل يكشف عن بنية أخرى في الفكر التاريخي، إنها الفكرة الأسطورية المصاحبة للاسكندر في ولادته وفي حروبه وفي موته والكاتب لا يكتفي كما أسلفنا بإحياء الأسطورة المتعلقة بالبدء، بل يسهم في خلق أسطورة الطلسم المتحكم في بقاء المدينة وحفظها من الزوال، وإذا كانت الأسطورة في الفكر القديم قد لعبت دورها وآتت أكلها في زمن الأساطير فإنه في الوقت الحاضر ليس من السهولة عقلنة هذه الأمور والتسليم بها، ومن هنا فإن رحلة البحث عن الطلسم لا تسفر عن نتائج ملموسة وما كان لها أن تصل إلى ذلك.

الجانب الحضاري

في الرواية تعانق بين الحضارات والأديان والمعتقدات يبرز ذلك من خلال التعاقب الحضاري على المنطقة والآثار تشهد على ذلك وأبرز تعلق حضاري عرفته المنطقة، حضارة الغرب وحضارة الشرق بالمعنى الواسع للكلمة وتبرز بصورة خاصة فكرة سيطرة الغرب على الشرق من خلال حملة الإسكندر الأكبر، ومحاولة توحيد العالم في إطار ما يسمى بالعولمة. هي صورة متخيلة عن إقامة العولمة في الماضي قام بها الإسكندر ولكن العولمة القائمة وحتى التي ستقوم ليست عادلة. بل هي جائزة تنظر إلى

الغرب على أنهم أسياد وإلى الشرقيين على أنهم عبيد وهذا بحكم طبيعة كل شعب وطبيعة كل حاكم .

الجانب الثقافي :

ب- المناصة

نجد حضور مقاطع كاملة سواء كانت نصوصا منقولة من كتب معينة أو حوارا بين شخوص أو رسائل توجه للقادة أو الأمراء، وهذا النوع يؤكد مرجعية الرواية، ويثبت تاريخانيتها، ومن أمثلة ذلك ما كتبه فيليب الثاني لأرسطو" اكتب إليك لأخبرك بأنني رزقت ولدا فللآلهة خالص الشكر، لا لمولد الطفل فحسب، بل لأنه أيضا ولد في زمانك أملي أن يصبح تلميذا لك، وأن يكون جديرا بإنتسابه لنا خليقا بأن يرقى ذروة العرش الذي سيؤول إليه) [11]

إن مثل هذه المقاطع الأصلية تتجاور مع مقاطع أخرى تحكي عن قصة أخرى هي قصة البطل السارد وهو يبحث عن قبر الإسكندر وهو يسير في الشوارع يأوي إلى البيت، ويتكلم مع زوجته عن شغله الشاغل، وهي تبين له عزوفها عن مثل هذه الأمور، وهو يبين لنا أهمية البحث عن الطلسم المخبوء في قبر الإسكنر، ويتحدث عن الخطر المحدق بالمدينة إن هو تقاعس عن مثل هذه الأمور.

ومن أنواع المناصة إيراده في الفصل العاشر أوصافا عن مدينة الإسكندرية مستمدة من أمهات الكتب، تثبت عظمة المدينة وجمالها وثراءها.

وقد استشهدت الرواية بالقرآن الكريم وهي تتحدث عن الإسكندر الذي هو ذو القرنين هو الرجل الذي مكن الله له في الأرض وأتاه من كل شيء سببا : " ويسألونك عن ذي القرنين قل سأتلو عليكم منه ذكرا، إنا مكنا له في الأرض، وأتيناه من كل شيء سببا... إلى قوله تعالى "وكان وعد ربي حقا [12]"

كما أردف هذه الآيات بحديث نبوي جاء فيه:

ملك الأرض كلها أربعة : مؤمنان وكافران، فأما المؤمنان فسليمان بن داوود وذو القرنين عليهما السلام والكافران نمرود ونجت نصر .

كما ورد رأي الإمام علي بن أبي طالب في ذي القرنين واعتباره محبا لربه فمكن الله له في الأرض وكذا رأى المأمون

إن الرواية تتعانق مع كل الآراء الواردة حول الموضوع ،لا تهمل أيا منها ولا تقوم بتغليب رأي على آخر، بقدر ما تقوم بمحاولة الرصف، دون عناء التوفيق أو التغليب، لأن السارد أعفى نفسه من كل ذلك على أساس عدم المقدرة في البت في هذه الأمور من جهة، ومن جهة أخرى فإن كل تلك الأقوال على اختلافها تجمع على عظمة الرجل بغض النظر عن السبب الكامن خلف هذه القوة.

الميتانصية :

تتجسد الميتانصية من خلال النقد الذي يوجهه النص الروائي إلى النصوص التي استقى منها أومن خلال التعليق، وأحيانا تأخذ الميتانصية شكل التلخيص والاختصار، وهذه الأنواع تكون في نهاية الفقرات أو الفصول ككلمة يقولها الكاتب على لسان السارد يقول في نهاية الفصل الثاني : اسمه الإسكندر المقدوني فهو مقدوني إذن ورث عرش اليونان من الإمبراطورية التي أقامها أبوه فيليب الثاني وكان ضباط الإسكندر من المقدونيين وكان حكام مصر الذين خلفوا الإسكندر من أصول مقدونية " [13]

ويقول عن الإسكندر مشككا : هل وضع الإسكندر تاج أمون على رأسه لأنه كان يؤمن بألوهيته أولأنه أراد أن يرضي المصريين

فهذا تعليق من الكاتب عن قضية وضع الإسكندر تاج أمون على رأسه وهذا التعليق يفيد التشكيك ويفيد أيضا التفريع أي إيراد الرواية والرواية الأخرى.

وفي نهاية الفصل الرابع عشر يتساءل الكاتب : هل إدعى الإسكندر النبوة مثلما ادعى نابليون الإسلام؟ [14]وهو سؤال أيضا تشكيكي يطرح الفكرة والفكرة المضادة، ولكنه لا يخوض في إجابة يقينية .

وبهذه الصورة الختامية أو التشكيكية التعليقية تنتهي أغلب فصول الرواية .

يتيح لنا التناص أن نربط بين الأفق التاريخي والفردي المتعلق بقراءة النص، وبالتالي فإن معنى النص مفتوح وقابل لجملة من القراءات وفي هذا المضمار سنتحدث

عن نوعين من التناص: الخارجي اللانصي وهذا لا يعني أنه خارج النص مطلقا وإنما يعني أنه لا يدخل فقط ضمن البنية الشكلية للنص وهذين النوعين هما :

1- الحوارية

2- النص المولد

تناولنا سابقا مفهوم الحوار والحوارية عند ميخائيل باختين، ونبين هنا أنواع الحوارية في النص :

الزوج والزوجة

تكشف الرواية عن وجهتي نظر متعارضتين يمثلهما البطل السارد وزوجته نجلاء التي تخالفه في الموقف من التاريخ، يساندها في ذلك أهلها والباحث الفرنسي جاك شارتييه ويستمر الجفاء بين الزوجين إلى نهاية الرواية والسبب رفضها لفكرة البحث عن الطلسم، ومقتها للآثار فهي لا تعدو أن تكون بحثا في تاريخ الأموات فضلا عن رائحة التراب التي تضر بها صحيا.

إنها تتجه إلى المستقبل بحكم اشتغالها في قسم الولادات وهو يتجه إلى الماضي (تاريخ الإسكندر والبحث عن القبر وما يحتويه من وصية) وإذا كان البطل السارد هو المهيمن عن الرواية إلا أنه لا يلغي فكرة الطرف الآخر، بل يسمح لها بالتعبير عن نفسها، وإذا كانت بعض الأطراف المساعدة يسمح لها بالتعبير عن نفسها وإذا كانت بعض الأطراف المساعدة لها المتمثلة في عم عبد السلام أو الأطراف المعارضة المتمثلة في والدي الزوجة يقترحون على البطل فكرة الطلاق إلا أنه لا يوافق على ذلك ولا يقوم بالإقدام على هذه الخطوة، لان منطلق السرد لا يقبل بذلك فتبقى الفكرة والفكرة المضادة متلازمتين إلى نهاية الرواية وهو نوع من الثنائية أو الحوارية.

الحضارة الغربية والشرقية

تطرح الرواية تاريخ الإسكندر منذ ولادته حتى وفاته من مفهوم الإغريق ولكنها لا تكتفي بذلك بل تقدم الطرح الإسلامي الذي يعتبر الإسكندر هو ذو القرنين وتقدم الرواية فكرة تحقق العالمية كما هي مطروحة اليوم، والتي تعني سيطرة الغرب على الشرق، لقد قام الإسكندر المقدوني بهذه الفكرة فكرة توحيد العالم، وكانت صورته الجسدية كما قدمتها

الرواية صورة الرجل الغربي في منظره، ولكن العالمية التي تحققت أو حاولت ذلك، لم تكن لتنشر العدل والمساواة بل عاملت الشرقيين باعتبارهم عبيدا والغربيين باعتبارهم سادة وهذا بوحي من المعلم أرسطو، لأن الشرق في رأيه يختلف عن الغرب في طبيعة البشر، وفي نوع الحكام ولذلك فإن الإغريق رفضوا السجود للإسكندر في حين سجد له المشارقة تماشيا مع معتقداتهم .

كما تتيح الرواية حضور الأفكار والمعالم الإسلامية والمسيحية وحتى اليهودية ولكن يبدو أن الأمر يسير لصالح الحضارة والديانة الإسلامية من خلال إبراز الآثار الإسلامية الباقية، ومن خلال المحاججة التي قدمتها الرواية بشأن إحراق مكتبة الإسكندرية، إذ ترد الرواية أصل هذا الإدعاء إلى اليهود وتقوم بمرافعة وحجاج منطقي لصالح المسلمين، فيقول الكاتب " كتب الفتوح الإسلامية تخلو من ذكر مكتبة الإسكندر"

كيف إذن أحرق العرب مكتبة لم تكن مفتوحة؟ (15)

هكذا إذن تقول الرواية وإن بصورة غير مباشرة

حوار الأمكنة

يبيح السارد للأمكنة حضورا واقعيا وتاريخيا وحضاريا، وذلك من خلال الوصف الحي والمباشر، ثم التحول إلى تاريخ المكان والحضارات المتعاقبة فيه والآثار المائلة فيه وأحقية كل مكان لاحتواء قبر الإسكندرية نظرا لمعطيات تؤهله لذلك

إن البطل ينطق بلسان تلك الأمكنة.

1- ثمة اجتهادات أن موقع القبر بالقرب من الكنيسة المرقسية في تقاطع الطريق الشرقي، والطريق المتعامد عليه المفضي إلى البحر " (16)

2- ذكر سترابون أن القبر في الحي الملكي، ينتهي ناحية الجنوب بالشارع الطولي الرئيسي شرق تقاطع الشارعين الرئيسيين شمال جامع النبي دانيال بما يساوي عرض الشارع. (17)

3- يذهب محمود الفلكي إلى أنه وسط المدينة عند تقاطع الشارعين الرئيسيين وأن قبر الإسكندر في جنوب شرق تقاطع الشارعين فالموقع الذي حدده أسفل مسجد النبي دانيال. (18)

4- اجتهادات أخرى أن مسجد ذي القرنين الاحتمال قائم باحتوائه على قبر الإسكندرية – هو الآن موقع مسجد العري في تقاطع شارع سيدي أبي الدرداء وشارع شريف. (19)

5- قبر الإسكندر في هذه اللحظة موجود في مكان لا أعرفه في داخل الإسكندرية، في داخل الكيلومترات السبعة والعشرين المربعة التي تشكل مساحة داخل المدينة، الاحتمال الأقل ترجيحا أن يكون القبر خارج هذه المساحة "

6- الترجيح أن يكون القبر داخل المدافن المطلة على شارع قناة السويس. (20)

هذه أمثلة فقط عن بعض الأمكنة التي يحتمل وجود قبر الإسكندر بها وكل مكان هو كذلك، وإذن فهناك حوار بين الأمكنة وتنازعا بينها في الظهور عن طريق الوصف والتاريخ ومجموع تلك الأمكنة هي ما يشكل فضاء الرواية.

النص المولد

وحدة الدال وتعدد المدلولات " شخصية الإسكندر "

أحالت شخصية الإسكندر المقدوني على مرجعيات مختلفة، فالإسكندر المقدوني في الرواية الإغريقية هو ابن فيليب الثاني المقدوني وابن أو ليماس، وقيل إنه ابن للآلهة، حكم بعد أبيه وغز الشرق فأسس الإسكندرية وواصل زحفه نحو الشرق.

وفي الرواية الإسلامية أنه عبد صالح، واسمه ذو القرنين مكن الله له في الأرض.

وفي روايات أخرى إنه إله الشرق

هذه الروايات تختلف باختلاف زاوية النظر، شرقية أو غربية وحسب العصور المختلفة، ولكن شخصية الإسكندر في الرواية هي شخصية مركبة تشمل كل هذه الرؤى المقدمة بنوع من التوفيق الذي يقدم مرصوفة للفكر في مختلف العصور ولدى عدة أمم غير أن هذه الشخصية في الرواية تختلف، عما هو موجود في الواقع إنها شخصية روائية مغيبة ومصاحبة للطلسم المبحوث عنه.

البحث في المصير

الرواية تهتم ببحث مسألة جوهرية في حياة الإنسان هي مقاومته الفناء الحتمي الذي يسببه في الرواية البحر الذي هو رمز البقاء ولكنه رمز الفناء أيضا، فمن خلال

النظر إلى الماضي ماضي الإسكندرية ومن خلال بحوث وأقوال العلماء فإن هلاك المدينة أمر واقع لا محالة، وليس من جدوى سوى البحث عن إكسير الحياة، الطلسم، ولكن الطلسم متعلق بقبر الإسكندر الهالك في غابر العصور، لن يكف البطل السارد عن مقاومة الخطر، مقاومة الفناء مستغلا في ذلك كل الوسائل، ولكن عبثا مقاومة الفناء، وتبقى الإشكالية مطروحة إذا لا يمكن حتى على مستوى التخييل أو مستوى الأسطورة

العبثية

يقوم البطل السارد برحلة عبر الأمكنة وعبر التاريخ يدفعه إلى ذلك إحساس بخطر الفقد يتطلب البحث الدائم ويقوم هذا البطل بتنفيذ أمر البحث منفذا شروط العقد مع نفسه ومع مدينته ولكنه وفي نهاية الرحلة يجد نفسه في نقطة البدء، لم يتقدم خطوة إلى الأمام.هي رحلة قدرية شبيهة بالعبث، تمتد عبر الزمان وعبر المكان تتخذ الإسكندرية مسرحا لها، وتنتهي إلى نقطة البداية، إنها رحلة لا تفضي إلى كشف ملموس، ولكن هل أن الرحلة ليست ذات جدوى.

إن الرحلة في حد ذاتها جزء من العمل بل هي عمل وإنتاج وهي الاندلالية بتعبير جوليا كريستيفا.

المناص (النص الموازي)

يعد المناص بمثابة عتبة تحيل إلى النص وتربط ما هو خارج عنه بما هو فيه، فهو بنية نصية حوارية أو مجاورة للعمل تمكننا من التعامل معه بحيوية ويتمظهر المناص أو النص الموازي في التصديرات، وكذا العناوين ويمكن إضافة شخصية المبدع أيضا.ونكتفي هنا بالحديث عن العنوان.

العنونة

إن للعنوان أهمية بالغة فهو الذي يميز العمل عن غيره من الأعمال إنه بمثابة الاسم بالنسبة للشخص، وبمثابة المفتاح الذي يسمح بالدخول إلى عالم النص وقديما قيل " الكتاب يقرأ من عنوانه، وقد كشف النقد المعاصر منذ ثلاثة عقود عن حقل نقدي استراتيجي جديد يتصل اتصالا وثيقا بعلوم النص ألا وهو علم العنوان (أو العنونة) أوTitrologie كما يحلو للفرنسيين تسميته [21]

وعليه فإن الاهتمام بأمر العنوان بات ضروريا ولا ريب أن مبدع العمل يعطي أهمية خاصة للعنوان، الذي ينتقيه بعد تمام العمل وربما قبل وأثناء الإبداع، ولكنه ولا شك يوضع العنوان بناء على جملة من الأمور منها الفنية الأدبية، ومنها العوامل الاقتصادية أو الإشهارية المتعلقة بالتسويق، فالعنوان يسهم بقدر كبير في عملية التلقي بالنسبة للقراء، لأنه المرحلة الأولى التي تتصل بالمتلقي.[22]

هذه المرسلة اللغوية التي تنتقل من المبدع إلى القاريء تتصف بأنها ذات استقلالية من جهة فهي نص بحد ذاته ومن جهة أخرى فهي مرتبطة بهذا العمل دالة عليه، العنوان إذن علامة ذات دال ومدلول مثلها مثل النص الوارد بين دفتي الكتاب ولكن هناك علاقة حميمة تأتي كعلاقة وسيطة بين العلامتين [23]1 ومن ثم اعتبارها نوعا من التناص يدخل ضمن المناص[24] .

مكونات العنوان

1- غواية : ورد في القاموس المحيط للفيروز بادى في مادة غوى غوى يغوي كرمى يرمي، وغوى غواية مصدر لغوي لا يكسر فهو غاو وغوى وغيان، ضل وغواه غيره وأغواه وغواه و" يتبعهم الغاوون" الشعراء 224 أي الشياطين أومن ظل من الناس.[25]

فكلمة غواية تعني الضلال والتيه، وتعني الإغراء وتزيين الأمر بحيل شيطانية سحرية، فيها معنى الجذب والشهوة والسيطرة، وقد وردت هذه الكلمة معرفة بالإضافة مضافة إلى الإسكندر.

2- الإسكندر هو الإسكندر المقدوني وإليه تنتسب الإسكندرية وقد ورد هذا الاسم معرفا وهو يحيل إلى تلك الشخصية التاريخية العظيمة، فهو اسم تاريخي وهذه الشخصية لها فعل الإغراء والجذب، إن له غواية خاصة هي ما ستبرز في الرواية.

غواية الإسكندر : حين تضاف غواية إلى الإسكندر تكون أمام مركب إضافي مبتدأ وخبره الرواية أو خبر لمبتدأ محذوف ويبقى العنوان حاملا نوعا من الغموض فهل المقصود تيه وضلال الإسكندر، أم المقصود إغراء وغواية الإسكندر للملتقى للبحث عنه

وإتباعه، هناك نوع من الغموض كما ذكرنا، ولعل هذا هو الأقرب لمفهوم الرواية إذ أن البطل السارد قام برحلة البحث يشبه في ذلك الصوفي الذي امتلأ قلبه بالإيمان فانصرف عن الحياة، وكذلك البطل قد امتلأ قلبه غواية وإغراء فراح يتبع مريده، وهو الإسكندر رمز البقاء والصفاء.

الهوامش:

[1] – عبد العزيز حموده: المرايا المحدبة من البنيوية إلى التفكيك عالم المعرفة، المجلس الوطني للثقافة والفنون والأداب، الكويت ع 232، ابريل 1998، ص 361.

[2] – أنورالمرتحي: سيميانية النص الأدبي،إفريقيا الشرق، المغرب، 1987، ص 42.

[3] – عبد العزيز حموده: المرايا المحدبة...، ص 362.

[4] – عبد الناصر حسن محمد: نظرية التوصيل وقراءة النص الأدبي، المكتب المصري لتوزيع المطبوعات 1999، ص 26.

[5] – عبد العزيز: المرايا المحدبة من البنيوية إلى التفكيك، ص 262.

[6] – أنورالمرتحي: سيميانية النص الأدبي ص 66.

[7] – أنورالمرتحي: سيميانية النص الأدبي ص 54.

[8]– أنورالمرتحي: سيميانية النص الأدبي ص 56–58 نقلا عن : Gennette ;gerard :palimsestes ;seuil,paris 1982 pp7-11

[9] – مطاع صفدي ص 243.

[10] – محمد جبريل، غواية الإسكندر ،دار الهلال،ع 673، يناير 2005 ص 30.

[11] – محمد جبريل، غواية الإسكندر، ص 21.

[12] – محمد جبريل، غواية الإسكندر، ص 123.

[13] – محمد جبريل، غواية الإسكندر، ص 22.

[14] – محمد جبريل، غواية الإسكندر، ص 95.

[15] – محمد جبريل، غواية الإسكندر، ص 128.

[16] – محمد جبريل، غواية الإسكندر، ص 54.

[17] – محمد جبريل، غواية الإسكندر، ص 74.

[18] – محمد جبريل، غواية الإسكندر، ص 75.

[19] – محمد جبريل، غواية الإسكندر، ص 101.

[20] – محمد جبريل، غواية الإسكندر، ص 111.

[21] – الطبيب بودربالة : " قراءة في كتاب " سمياء العنوان" للدكتور بسام قطوس، الملتقى الوطني الثاني، السيمياء والنص الأدبي، 15، 16 أفريل 2002،قسم الأدب العربي، جامعة بسكرة، الجزائر، ص23.

[22] – محمد فكري الجزار : العنوان وسيموطيقا الاتصال، الهيئة المصرية العامة كتاب 1998 ص 07.

[23] – المرجع نفسه ص 20.

[24] – Genard Genente ; palimsestes P75.

[25] – الفيروزياي : القاموس المحيط مؤسسة الرسام للطباعة والنشر والتوزيع ط6، 1998 ص 1319، 1320.